Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود، والأحلام غير عوازب

إلى آخر ما ذكرنا من ذلك آنفا ولا يعنى ذلك أن النابغة لايستخدم — فى تصويره — الصور التفسيرية ، ولكن الذى أعنيه هو ذلك أن النابغة لم يكن يحتفل بهذه الصور احتفال امرىء القيس ، ولا كان يعتمد عليه فى تصويره اعتماد امرىء القيس. من ثم ركز النابغة جهده فى الوقوع من ممدوحه على المعانى التى يتمدح بها ، وعرضها فى ترتيب متناسق أخاذ ؛ ورأينا فى صوره — لذلك — معانى حضرية جديدة لم تعرف ولا لشاعر الحضر العربى لشاعر البادية الخالص ، تمثل سلوكهم ومعتقداتهم الدينية ، ومظاهر الترف والنعيم فى حياتهم .

بيد أن موازنة النابغة بعدى بن زيد تكشف عن ما بين الشاعرين من علائق تنوء عما أخذه النابغة من عدى فى ذلك ، خصوصا فى اعتداره .

كما يتضح الفرق بينه وبين زهير الذى ارتبط ببيئته القبلية ، ولم يخرج عليها على الرغم مما أتيح له من أسباب الترف والنعمة ، فاتجه بمدائحه إلى من يقدم الخير لأهله وعشيرته ، فلم يمدح أشخاصا بقدرما مدح أفعالا ، على عكس النابغة الذى قصد إلى مدح الأشخاص ليدعهم من وراء ذلك إلى الأفعال . ومن ثم افترق زهير فى مدائحه عن النابغة ، فاتسمت مدائح زهير بالصدق الواقعى والفنى ، وكانت نابغة من شعور متسق مع الموقف ، أما مدائح النابغة فكانت معتمدة على الفن المصنوع الذى لا يقوم على تجاوب نفسى ، ولا انساق عاطفى . ولا ريب فى أن ذلك أثر من آثار البيئة الحضرية التى ضمت النابغة .

بيد أن بين الشاعرين لشابها يتمثل فى وقوف كل منهما عن الهجاء ، وتحفظه فيه إذا اضطر له اضطرار ، وهما فى ذلك متأثران بخلق البادية العربية المترفة أو المتحضرة الممزوج بالوقار الذى أضفاه على كل منهما مركزه بين عشيرته وتقدمه فى السن ، فلما كان زهير يمتنع من الخوض فى عرض مهجوه ، والإقذاع فى شتمه وسبه ، كان فى قوله يهجو عامر بن الطفيل ردا على هجائه إياه :

فإن يك عامر قد قال جهلا فإن مطية الجهل السباب